وجهه اى بهجه وحسنه وانما لم يجعل اسم مفعول منه لاحتمال انهم لم يعثروا على هذا الاستعمال وان يكون
هذا مولدا مستحدثا من السراج على انه لا يبعد ان يقال ان سرج الله وجهه ايضا من باب
الغرابة واما صاحب مجمل اللغة فقد قال سرج الله وجهه اى حسنه وبهجه ثم انشد هذا المصراع لا يقال
الغرابة كما يفهم من كتبهم كون الكلمة غير مشهورة الاستعمال وهى فى مقابلة المعتادة وهى بحسب قوم دون
قوم والوحشية هى المشتملة على تركيب تنفر الطبع عنه وهى فى مقابلة العذبة فالغريب يجوز ان يكون
عذبة فلا يحسن تفسيره بالوحشية بل الوحشية قيد زائد للفصاحة المفرد وان اريد بالوحشية غير ما
ذكرنا فلا نم ان الغرابة بذلك المعنى تخل بالفصاحة لانا نقول هذا ايضا اصطلاح مذكور فى كتبهم حيث قالوا
الوحشى منسوب الى الوحش الذى يسكن القفار ثم استعيرت للالفاظ التى لم يؤنس استعمالها
والوحشى قسمان غريب حسن وغريب قبيح فالغريب الحسن هو الذى لا يعاب استعماله على العرب
لانه لم يكن وحشيا عندهم وذلك مثل شرنبث واشمخر واقمطر وهى فى النظم احسن منها فى النثر ومنه
غريب القرآن والحديث والغريب القبيح يعاب استعماله مطلقا ويسمى الوحشى الغليظ وهو ان يكون
مع كونه غريب الاستعمال ثقيلا على السمع كريها على الذوق ويسمى المتوعر ايضا وذلك مثل جحيش للفريد
واطلخم الامر وجفخت وامثال ذلك وقولنا غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال تفسير للوحشية
فمنع كونه مخلا بالفصاحة المتداولة فيما بينهم ظاهر الفساد وان اردت بالفصاحة معنى آخر وزعمت ان
شيئا من التنافر والغرابة والمخالفة لا تخل بها فلا مشاحة والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف القانون
المستنبط من تتبع لغة العرب اعنى مفردات الفاظهم الموضوعة او ما هو فى حكمها كوجوب الاعلال فى نحو
قام والادغام فى نحو مد وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف واما نحو ابى يابى وعور واستحوذ وقطط
شعره وآل وماء وما اشبه ذلك من الشواذ الثابتة فى اللغة فليست من المخالفة فى شىء لانها كذلك
ثبتت عن الواضع فهى فى حكم المستثناة فكانه قال القياس كذا الا فى هذه الصور بل المخالف لا يكون
على وفق ما ثبت عن الواضع نحو الاجلل بفك الادغام فى قوله الحمد لله العلى الاجلل والقياس الاجل
وقيل فصاحة المفرد خلوصه مما ذكر ومن الكراهة فى السمع بان يتبرأ السمع من سماعه كما يتبرأ من سماع
الاصوات المنكرة فان اللفظ من قبيل الاصوات والاصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ومنها
ما تستكرهه نحو الجرشى فى قول ابى الطيب فى مدح سيف الدولة ابى الحسن على مبارك الاسم اغر اللقب

كريم

الوحشي

المخالفة

٨

كريم الجرشى اى النفس شريف النسب فالاسم مبارك لموافقة اسمه اسم امير المؤمنين على بن
ابى طالب رضى الله عنه واللقب مشهور بين الناس والاغر من الخيل الابيض الجبهة ثم استعير لكل
واضح معروف وفيه نظر لانها داخلة تحت الغرابة المفسرة بالوحشة لظهور ان الجرشى اما من قبيل
تكأكأتم وافرنقعوا والجحيش واطلخم وقد ذكر هنا وجوه اخر الاول انها ان ادت الى الثقل فقد
دخلت تحت التنافر والا فلا تخل بالفصاحة والثانى ان ما ذكره هذا القائل فى بيان هذا الشرط ان
اللفظ من قبيل الاصوات فاسد لان اللفظ ليس بصوت بل كيفية له كما عرف فى موضعه وضعف هذين
الوجهين ظاهر والثالث ان الكراهة فى السمع راجعة الى النغم فكم من لفظ فصيح يستكره فى السمع
اذا ادى بنغم غير متناسبة وصوت منكر وكم من لفظ غير فصيح يستلذ اذا ادى بنغم متناسبة
وصوت طيب وليس شىء للقطع باستكراه الجرشى دون النفس سواء ادى بصوت
حسن او غيره وكذا جفخت وملع دون فحرت وعلم والرابع ان مثل ذلك واقع فى التنزيل كلفظ
ضيزى ودسر ونحو ذلك وفيه ايضا بحث لانه قد يعرض لاسباب الاخلال بالفصاحة ما يمنع
السببية فيصير اللفظ فصيحا فان مفردات الالفاظ تتفاوت باختلاف المقامات كما سيجىء فى
الخاتمة ولفظ ضيزى ودسر كذلك والفصاحة فى الكلام خلوصه من ضعف التاليف وتنافر الكلمات
والتعقيد مع فصاحتها حال من الضمير فى خلوصه اى خلوصه مما ذكر مع فصاحة كلماته واحترز به
عن نحو زيد اجلل وشعره مستشزر وانفه مسرج ولا يجوز ان يكون حالا من الكلمات فى
تنافر الكلمات لانه يستلزم ان يكون كلام مشتمل على الكلمات الغير الفصيحة متنافرة كانت ام لا
فصيحا لانه صادق عليه انه خالص من تنافر الكلمات حال كونها فصيحة فافهم فالضعف ان يكون تاليف
اجزاء الكلام على خلاف قانون النحوى المشتهر فيما بين معظم اصحابه حتى يمتنع عند الجمهور كالاضمار قبل الذكر
لفظا ومعنى نحو ضرب غلامه زيدا فانه غير فصيح وان كان مثل هذه الصورة اعنى ما اتصل بالفاعل ضمير المفعول به
مما اجازه الاخفش وتبعه ابن جنى لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كالفاعل واستشهد بقوله
جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وقوله لما عصا اصحابه مصعبا ادى
اليه الكيل صاعا بصاع ورد بان الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل اى رب الجزاء واصحاب
العصيان كقوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل واما قوله جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر

فصاحة الكلام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)